

اسم المادة: توحيد الأسماء والصفات -٢

من سلسلة: شرح كتاب الوجيز في عقيدة أهل السنة

لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: توحيد الأسماء والصفات -٢
من سلسلة: شرح كتاب الوجيز في عقيدة أهل السنة
لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

الحمد لله –تعالى– القائل في كتابه الكريم: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" الشورى: ١١، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، اللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد؛

مرحبا بكم أيها الأكارم، وهذا لقاؤنا السادس مع رحلة الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، جعلنا الله وإياكم منها، وكان لقاؤنا الماضي اللقاء الخامس في توحيد الأسماء والصفات، وخلاصة ما ذكرناه في المرة الماضية أن أهل السنة والجماعة يعرفون ربهم –جل في علاه– بصفاته الواردة في الكتاب والسنة، ويصفون ربهم بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله –صلى الله عليه وسلم–. ولا يحرفون الكلمة عن مواضعه ولا يلحدون في أسمائه وآياته، ويثبتون لله ما أثبته لنفسه من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف. وقاعدتهم في كل ذلك قول الله –تبارك وتعالى–: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ".

استكمالًا لما بدأناه في الدرس الماضي، خلاصة منهج أهل السنة والجماعة مع ذكر آثار عن السلف في هذا الباب الذي ضل فيه كثيرًا من الناس، وافترقت الفرق في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، ما بين نافٍ لكل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله –صلى الله عليه وسلم– الذي لا ينطق عن الهوى، أو إثبات البعض وترك البعض أو إدخال العقل في هذا الباب والأصل في هذا أن يكون توقيفيًا، أي الأصل فيه السمع في الكتاب والسنة وهكذا.

فيقول الشيخ عبد الله بن عبد الحميد الأثري –حفظه الله–: "فمنهج أهل السنة والجماعة في الإيمان بالله –تعالى– يتلخص بالإيمان الجازم، والإقرار الكامل، والتسليم التام، بما أخبر به الله –تعالى– في كتابه، وأخبر به رسوله –صلى الله عليه وسلم– في سنته والعمل بهما من جميع وجوههما من دون إلحاد". واحنا قلنا إن تعريف الإلحاد هو الميل عن الحق في باب الأسماء والصفات، وهو يشمل ما بعده من الضلالات التي ينبه عليها المصنف –حفظه الله–.

يعني التحريف اسم عام ممكن يدخل فيه التمثيل، ممكن يدخل فيه التأويل الباطل، ممكن يدخل فيه التعطيل، لأن الإلحاد الميل عن الحق، يبقى والعمل بهما –أي بالكتاب والسنة– من جميع وجوههما من دون إلحاد، أو تحريف، والتحريف كما ذكرنا إما تحريف النص، يعني يبقى في اللفظ نفسه زي ما ذكرنا قصة اليهود أن الله قال لهم وقد أمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة أن يقولوا: حطة، يعني غفرانًا من الذنوب أو حط عنا الذنوب فقالوا: حنطة، فزادوا في اللفظ وهذا من باب التحريف، أو المعنى؛ بيحرف المعنى إلى معنى غير مراد أو معنى باطل غير

صحيح. أو تأويل؛ والتأويل له معانٍ منها حقيقة ما يؤول إليه الشيء، كما قال الله –تعالى-: "هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ" الأعراف:٥٣، يبقى هو حقيقة ما يؤول إليه الشيء ويتحقق به، والمعنى الثاني التأويل بمعنى التفسير وهذا مشهور ومعروف عند السلف، ومن قرأ الكتب المسندة لا سيما تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ستجد في كل آية بيقول: والتأويل في قوله –تعالى– كذا ثم يذكر أقوال الصحابة ومَن بعدهم في الآية، وأما المعنى الثالث من معاني التأويل فهو صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه إلى ما يخالف ذلك لدليل منفصل يوجب ذلك، ولم يكن هذا المعنى معروفًا عند السلف خالص ما كانش معروف عندهم التأويل بهذا المعنى الذي أحدثه المتأخرون، وفي الغالب إن باب التأويل يعني ضل بسببه كثير من الناس فأخرجوا الصفات عن بابها وتأولوها تأولات باطلة لا تصح، وكذلك أيضًا أو تعطيل؛ وتعطيل إما نفي الصفات جميعا أو إثبات البعض ونسي البعض الآخر، أو تكييف وهو بيان الهيئة التي عليها الصفات واحنا قلنا إن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، وذات الله –عز وجل– لا تُعرف ولا تُكيف، فكذلك أيضًا الصفات لا تبلغ العقول كنه ذاته ولا تكيف الحجا صفاته –سبحانه وتعالى–، ومن دون تردد أو شك أو ريب، لأن هذا منافي لباب الاعتقاد عمومًا لا سيما في هذا الباب الذي هو مختص بمعرفة الله –سبحانه وتعالى–، لأن الأسماء هي أسماء الله والصفات هي صفات المولى –عز وجل–.

يبقى من دون تردد أو شك أو ريب بل إيمان وتسليم وعمل، كما قال الإمام التابعي الفقيه محمد بن مسلم بن شهاب الزهري –رحمه الله– إمام أهل الحجاز، وأحد أساطين العلم بالحديث النبوي وهو شيخ مالك والليث بن سعد وغيرهم من الأئمة الكبار، قال –رحمه الله–: "من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم".

شوف كلام كسلاسل الذهب "من الله الرسالة" لأن هذا هو الأصل أن الله –عز وجل– هو الذي أنزل الكتاب وأوحى إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– ما أوحى به من سنته من غير الكتاب، وعلى الرسول البلاغ "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ" المائدة:٦٧، وعلينا التسليم "وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" البقرة:٢٨٥.

وكما قال الإمام الحافظ الحجة سفيان بن عيينة –رحمه الله–: كل ما وصف الله –تعالى– به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره، لا كيف ولا مثل، يعني لا نقول كيفية هذه الصفة كذا، ولا هذه الصفة مثل كذا، لأنه ليس كمثله شيء –سبحانه وتعالى– وهو السميع البصير.

وكما قال الإمام الشافعي –رحمه الله–: "آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله –صلى الله عليه وسلم– وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله –صلى الله عليه وسلم–".

وقال إمام دار الهجرة مالك بن أنس –رحمه الله تعالى–: "إياكم والبدع، قيل وما البدع؟ قال: أهل البدع هم الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، فدخلوا في مضايق الأمور وأتوا بعلوم الفلاسفة والمناطقة وغيرهم وأدخلوها وجعلوها قواعد حاكمة على نصوص الوحي". وهذا والله نوع من الخبل، حتى أن المتأخرين الآن يعتقدون أن من لم يحسن علوم الكلام، لا يستطيع أن يصل إلى برد اليقين أو إلى الصواب في مسائل الاعتقاد، وهو تكليف بما لم يكلفنا الله –تعالى– به.

وقد علمتم ذم الأئمة الأول لعلوم الكلام وكان الإمام الشافعي –رحمة الله عليه– يقول: "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجليد والنعال وأن يطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هؤلاء الذين تركوا الكتاب والسنة"، قال –رحمه الله–: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على مراد رسول الله. والإمام مالك ها هنا يقول لما قال إياكم

والبدع قيل وما البدع؟ قال: أهل البدع هم الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

وسأل رجلٌ الإمام مالكًا –رحمه الله– عن قول الله –تبارك وتعالى–: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى" طه:٥، كيف استوى؟ في بعض الروايات أنه علت الرُّحَضَاءُ الإمام مالك وأصابه العرق يعني القشعريرة من هول هذا السؤال، فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، واجب علينا لأن طالما أخبر الله –عز وجل– في سبع مواضع في كتابه أنه الرحمن على العرش استوى، أو هو استوى على العرش –سبحانه وتعالى–، فليس هناك مناص من أن نؤمن أنه استوى، ونؤمن بالمعنى الحق الذي يليق بجلاله –سبحانه وتعالى–، أما الكيف فهو كما قال الإمام مالك والكيف غير معقول، عقولنا لا تستطيع أن تتخيله أو تتصوره، ولذلك لا يحل لنا أن نسأل عن الكيفية لأننا لن نعقلها أبدًا، والسؤال عنه بدعة، يبقى السؤال هنا مش المقصود بالإيمان بالاستواء وإنما السؤال عن الكيف هو الذي اعتبره الإمام مالك إمام دار الهجرة بدعة، فقال: وما أراك إلا ضالًا، وأمر به أن يخرج من المجلس.

وقال الإمام أبو حنيفة –رحمه الله–: "لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه ولا يقول فيه برأيه شيئًا تبارك الله رب العالمين". وقال: "من أنكر أن الله –عز وجل– في السماء فقد كفر". ولما سئل عن صفة النزول قال –رحمه الله–: "ينزل بلا كيف" ينزل بلا إيه؟ بلا كيف.

وقال الوليد بن مسلم القرشي: سألت الأوزاعي وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤيا فقالوا: "أمروها كما جاءت بلا كيف"، فما معنى هذا؟ قول الأئمة أمروها كما جاءت بلا كيف فيه رد على المعطلة، اللي هم بينفوا الصفات أو بيعطلوها عن مقتضاها، وقولهم بلا كيف رد على الممثلة، الذين يقولون بأن صفات الله كمثل كذا، تعالى الله عما يقول هؤلاء الظالمون، ومعنى كلامهم إثبات معانيها اللائقة بالله، فالأصل إن احنا بنؤمن بالصفة طالما أن الله أثبتها لنفسه أو أثبتها رسوله –صلى الله عليه وسلم– لربه، نؤمن بها، يبقى صفة الاستواء، صفة الإتيان، صفة النزول، صفة الضحك، صفة السخط، كل ما أثبته الله أو رسوله –صلى الله عليه وسلم–، كذلك بعد الإيمان بالصفة نؤمن بالمعنى اللائق الذي يليق بالله، فالله عظيم، والله كبير، والله جليل، –سبحانه وتعالى–، قدير، كل صفات الحسن والجلال والكمال والبهاء له –سبحانه وتعالى–، فأعلى المعاني تكون له –تبارك وتعالى–، كما يليق بجلاله –عز وجل–، لكن نقطع الطمع أن نعرف كنه هذه الكيفية، كيف استوى ده سؤال بدعة؟ كيف ينزل سؤال بدعة؟ وهكذا في كل ما سأل فيه الناس عن الكيفية لأنهم لا يستطيعون أن يعقلوا، ونحن منهيون عن أن نسأل عن كيفية هذه الصفات لأنها مثل من يسأل عن كيفية ذات الله –سبحانه وتعالى–.

فإذًا لا يُسأل عن الكيفية لعدم العلم بها، بل تُمر كما جاءت وهكذا القول في بقية الصفات.

أما من يقول بأن أمروها كما جاءت إن احنا لا نعين لها معنى معين فهذا من شر مذاهب أهل البدع، فمثلا لو قلنا مثلًا "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"، يأتي هؤلاء فلا يثبتون معنى معينًا، فإذا قال مثلا لهم أحد: استوى بمعنى ارتفع اللي هو المعنى المأثور عن السلف أو استقر أو علا يقولوا له ماشي مفيش مشكلة ما عندناش اعتراض، يأتي آخر يقول: لا ده بمعنى نفي المكان وغيره يقول له ماشي، حتى من يأتي بأي مذهب باطل، لأن هو مفوض للمعنى لا يثبت معنى لا صحيح ولا باطل، فإذا جاء المعنى الصحيح يقبله وإذا جاء المعنى الباطل يقبله، فأي مذهب هذا؟ ولذلك عدوه من شر مذاهب أهل البدع، لأن ممكن يدخل فرعون عادي، وإبليس الجنة عادي، واخد بالك؟ باعتبار إن هم من عبيد الله –تبارك وتعالى–، يعني لا أضل من هذا المذهب، فلذلك بعد أن نؤمن بالصفة، نُثبت المعنى الحق الذي يليق بالله ونقطع الطمع عن معرفة الكيفية لأنها لا تبلغها عقولنا، ونحن منهيون كما ذكرنا عن ذلك.

وقال الإمام الحافظ نعيم بن حماد الخزاعي –رحمه الله تعالى–: "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيهًا"، ليه؟ لأن دي معاني بتليق بالله –سبحانه وتعالى–.
وطبعا احنا عارفين إن مسألة التكفير هذه لابد من ضوابط لها، فممكن يبقى الكلام مرسل في التكفير لكن إذا خصصنا إنسان معين لابد من توافر شروط: زي العقل زي البلوغ زي العلم إن هو يبقى عنده علم بالمسألة، وتنتفي موانع زي الجهل زي النسيان زي الخطأ، زي إن هو مُكره أن يقول هذا القول، وهكذا، يعني لا يحل أن نأخذ نصًا بالتكفير أو التفسيق أو الظلم أو البدعة نص عام من الكتاب والسنة ونقول يبقى فلان بيعمل الكلام ده يبقى هو كافر هو ظالم هو فاسق، لا هذا لا يصح إلا بقيام الحجة الرسالية عليه وتحقق شروط وانتفاء الموانع، وهذا عليه جماهير أهل السنة والجماعة ولله الحمد والمنة.

وقال بعض السلف "قَدَم الإسلام لا تثبت إلا على قنطرة التسليم"، إن العبد يبقى مسلم لله –سبحانه وتعالى– ولرسوله –صلى الله عليه وسلم– ولكتابه ولسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم– ولما أجمع عليه المسلمون. لأن هذا كما ذكرنا مقتضى العبودية، إن انت عبد يبقى من صفات العبد أنه سامع ومطيع لسيده –سبحانه وتعالى–، وللمبلغ عنه –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ" النساء:٥٩، وهم العلماء والأمراء.
وقال الإمام ابن قدامة المقدسي –رحمه الله–: "وعلى هذا –أي على هذه العقيدة المذكورة سابقًا– درج السلف وأئمة الخلف –رضي الله عنهم– كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة –صلى الله عليه وسلم– من غير تعرض لتأويله، وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم والاهتداء بمنارهم"، فأهل السنة والجماعة بريئون من مذاهب أهل التعطيل والتشبيه والتفويض والحمد لله، هذه هي عقيدة السلف الصالح، أهل السنة والجماعة وأقوال أئمتهم في الإيمان بالله –تعالى–، فمن سلك مسلكهم يكون ملتزمًا بمنهج الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وأصحابه الكرام –رضي الله عنهم أجمعين–.

وفي النهاية هنذكر بعض القواعد اليسيرة حتى تكون حاكمة لما ذكره المؤلف حفظه الله –تبارك وتعالى–، وحتى تكون حارسة للمسلم إذا اشتبه عليه أمر أن يفيء إلى هذه القواعد فإنها تسلمه وتنجيه من العطب والخوض بالباطل كما خاض كثير من الخائضين في هذا الباب:
– أول قاعدة عاوزين نقولها إن وجوب معرفة الله بأسمائه وصفاته بالسمع ليست بالعقل، مش معناها إن هي منافية للعقل لأن النص إذا صح لا يمكن أبدًا أن تجتمع العقول الصحيحة على خطئه، ولأن الأصل أن العقل الصحيح تابع للنص الصحيح، يبقى وجوب معرفة الله –سبحانه وتعالى– وأسمائه وصفاته –عز وجل– تثبت بالسمع، ومعنى كلمة السمع يعني بالكتاب والسنة، ليست تثبت بالعقل، ولذلك بيعبروا عنها بيقولوا أنها توقيفية، بمعنى إن انت لا تعتقد ولا تثبت ولا تؤمن باسم لله –سبحانه وتعالى– ولا بصفةٍ إلا إن كانت ثابتة في الكتاب أو السنة أو فيهما جميعًا.

– القاعدة الثانية أنه لا يُتَجاوز القرآن والحديث في باب الأسماء والصفات، واحنا شفنا الأئمة كانوا بيقولوا إن لم يسكتوا عما سكت عنه الصحابة، خاضوا فيما وقف فيه الصحابة، والصحابة كانوا أعلم، وبعدين من الضلال المبين أن يأتي بعض المتأخرين المتحزقين ويقولوا إن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم، أي شتم وأي تقبيح وأي إذراء على السلف أكثر من هذا، إنك تدعي إن الخلف المتأخرين دول مذهبهم أعلم من الصحابة ومَنْ بعدهم والتابعين لهم بإحسان، وأحكم كمان؛ أعلم وأحكم، لا، احنا بنقول بملء فينا ولا يضرنا من خالفنا من الناس، مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم ممن جاء بعدهم، وأن الناس قد خاضوا واخترعوا أشياء في باب الاعتقاد ما أنزل

الله –عز وجل– بها من سلطان، فليتب هؤلاء من هذه المقالة لأنها في منتهى القبح، ولا يليق لمسلم أن يتهم سلفه والصحابة –رضي الله تعالى عنهم– بأنهم ناس مسالمين كده لم يخوضوا فيما خاض فيه الناس، وتركوا هذا العلم الشريف، ده رأس العلم، لأن العلماء بيقولوا إن شرف العلم بشرف المعلومة، طب الأسماء والصفات دي بتتحدث عن الله، عنه –سبحانه وتعالى–، عن أسمائه وصفاته، هل يجهل الصحابة –رضي الله تعالى عنهم– أسماء ربهم –سبحانه وتعالى– التي عرفهم بها أو بينها لهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، أو صفات المولى سواء الصفات الذاتية له –عز وجل– أو الصفات الاختيارية أو صفات الأفعال التي هي مرهونة بالمشيئة، أما الصفات الذاتية فدي ليست تحت مشيئة الرب، لأنها لا تنفك عنه –سبحانه وتعالى–، أما الصفات التي ينزل الرب أو يذهب أو يضحك أو يتكلم –سبحانه وتعالى–، دي مرتبطة بالمشيئة، بمعنى إذا شاء الله تكلم وإذا شاء –عز وجل– لم يتكلم، فكيف يمكن أن يُتصور أن الصحابة –رضي الله تعالى عنهم– غفلوا عن هذا الباب الذي هو أشرف أبواب العلم، هذا لا يليق، وهؤلاء لا يعقلون ما يقولون، يبقى لا يتجاوز القرآن والحديث في باب الأسماء والصفات لأن مجاوزة الكتاب والسنة أضلت كثيرًا من الناس في هذا الباب.

– القاعدة الثالثة: أن الإجماع حجة في باب الأسماء والصفات، فإذا أجمع الصحابة فلا شك أنه دليل قوي ولا يمكن أبدًا أن يُغفل في هذا الباب. طب يقول لك الصحابة مثلًا أجمعوا على معنى ثم أتى المتأخرين بعد ذلك فخالفوا هذا المعنى، لا عبرة بمن خالف، لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة، فإذا اجتمع الصحابة أو أحد القرون الخيرية التابعين أو تابعيهم –أتباع التابعين–، فلا يتصور أن يأتي خلاف لا سيما في باب الاعتقاد، يبقى الإجماع حجة في باب الأسماء والصفات.

– القاعدة الرابعة: أسماء الله الحسنى وصفاته العلى تثبت بخبر الآحاد. احنا عندنا العلماء بيقسموا الحديث من حيث وروده إلينا إلى متواتر وآحاد، والمتواتر ده اشترطوا فيه إن يبقى فيه عدد معين في كل طبقة يستحيل تواطؤهم على الكذب، جيل بيسلم لجيل والحديث مشهور، هذا هو المتواتر وده طبعا في أعلى درجات القوة من حيث النقل عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، لكن ده أحاديث قليلة يعني لو رجعت للكتب التي صُنفت في الأحاديث المتواترة بعضهم قال عشرة وبعضهم قال خمستاشر وبعضهم قال عشرين، وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم– ألوف من الأحاديث، فأكثر الأحاديث آحاد، يعني رواية العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علم. فجاء الناس اللي حكموا قواعد المناطقة والفلاسفة وعلوم الكلام في الاعتقاد، قال لك لا ما هو الراوي ده ممكن يخطئ، فازاي هنبني أمر اعتقاد لا يقبل الشك ولا الريب ولا غير ذلك على قول رجل واحد؟ وطبعا هذا قول مخترع مبتدع، فهناك أشياء كثيرة جدًا ثبتت بخبر الواحد، مثل قول النبي –صلى الله عليه وسلم– مثلا: "لا وصيَّةَ لوارِثٍ"[1]، ده حديث مهوش متواتر، وإجماع أهل العلم عليه. واخد بالك؟ يعني حديث آحاد اهو وأجمع الناس عليه. فإذًا يبقى الأسماء والصفات لله –تبارك وتعالى– بتثبت بخبر الآحاد، طالما صح الحديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم– فإذًا نُثبت ونُؤمن بما جاء في هذا النص.

– الأمر الخامس: وجوب إثبات نصوص الصفات وإجرائها على ظاهرها، ده الأصل في باب الأسماء والصفات أنها تُثبت على ظاهرها. ومعنا قول السلف الذي مر أمروها كما جاءت، وإمرارها تفسيرها بلا كيف.

[1] صححه الألباني



– القاعدة السادسة: أن الفطر السليمة موافقة لما جاءت به الشريعة من إثبات أسماء الله وصفاته. ليس فيما نفاه النافون شيء أبدًا مناف السليمة أبدًا. فكل ما ثبت لله –سبحانه وتعالى– من الأسماء والصفات موافق للفطر. العقول التي تستشكل هي التي دخلت فيما لا يعنيها، وتحكمت فيما ينبغي ألا تتحكم فيه، وتقدمت فيما كان ينبغي أن تتأخر فيه. واحنا عارفين إن دليل الفطر السليمة ده دليل قوي في معرفة الله –سبحانه وتعالى–.

– الأمر السابع: طريقة الكتاب والسنة في باب الأسماء والصفات مجملها الإثبات المفصل والنفي المجمل. كما ذكرنا الآية التي افتتحنا بها الحديث "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" ده نفي مجمل، "وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" ده إثبات مفصل.

– الأمر الثامن: الكلام في صفات الله كالكلام في الذات.

– الأمر التاسع: امتناع صرف دلالة والسنة عن ظاهرها المتبادر منها إلا بدليل شرعي، احنا قلنا قاعدة قبل كده: إن وجوب إثبات الصفات وإجرائها على ظاهرها، فيه قاعدة بتقيد دي بقى: إن يُمكن بدليل شرعي صحيح أن تُصرف هذه الدلالة الظاهرة، فمثلا قوله –سبحانه وتعالى– عن سفينة نوح –عليه السلام–: "تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ" القمر:١٤، هل دلوقتي يصح لمسلم أن يعتقد أن السفينة تجري –عياذًا بالله– في عينه –سبحانه وتعالى–؟ هذا –والعياذ بالله– معنى شنيع، لكن السلف فسروها بقولهم: تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا أي على مرأى منا وكلأ ورعاية وولاية من الله –سبحانه وتعالى–، يبقى ربنا –سبحانه وتعالى– حفظ هذه السفينة، ورعى السفينة ومن فيها، وكلأها بعنايته –تبارك وتعالى–، وهو –عز وجل– مطلع عليها وعلى من فيها، هذا هو المعنى الذي أثبته السلف، لكن بعض الناس أخذ من مثل هذا الدليل أَوَلَ كل الصفات لا يثبتون لله يدًا، مع أن الله –عز وجل– ذكر في كثير من الآيات: "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" الملك:١، وقوله –سبحانه وتعالى– لإبليس في امتناعه عن السجود لآدم: "لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ" ص:٧٥، فيؤولون يد الله –سبحانه تعالى– بأنها القدرة، مع أن إذا كان في لغة العرب أن اليد بمعنى القدرة أو أحيانًا بمعنى النعمة؛ فلان له يد علي يعني عمل لي جميل وإكرام، أو فلان ذو يد يعني ذو بطش وقوة ومهيب الجانب، لكن ما ينفعش يقول في التثنية هذا المعنى، ما ينفعش يقول إن هو القدرة بمعنى نعمتين أو معنى اليد بمعنى قدرتين أو نعمتين هذا لا يصح في كلام العرب.

فهذه القواعد التي ينبغي أن نستصحبها وممكن نختصرها في تلات حاجات:

– أولًا: إثبات ما أثبته الله لنفسه ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، من الأسماء والصفات عمومًا.

– الأمر الثاني: الإيمان بها على الوجه اللائق بالله –جل جلاله–، أحسن ما يكون فيها.

– الأمر الثالث: قطع الطمع عن إدراك الكيفية بصفات الله –تبارك وتعالى–.

الكلام يا إخواننا اللي احنا ذكرناه هذا من الآيات والأحاديث وكلام السلف ده مجرد كلام ضابط وحاكم لهذا الباب لمّا دخل عليه الخلل ودخلت الفرق الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم فأفسدوا هذا الاعتقاد، لكن مفترض أن باب الأسماء والصفات هو باب التنعم العظيم لكل مسلم ومسلمة، فاحنا بنذكر هذا الكلام مجرد كلام علمي ضابط لهذا الباب، ونعتقد صحته جميعًا، لكن باب العمل أين هو بقى؟ في

باب الأسماء والصفات، فاحنا ذكرنا أن الله –عز وجل– أسماءً حسنى، وأن الرسول –عليه الصلاة والسلام– أخبر أن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة، وقلنا الإحصاء بيبقى بحفظها، وعدها، والعلم بمعناها، والعمل بمقتضاها.

فالمفترض أن باب الأسماء والصفات هو أوسع الأبواب التي تعرفنا بالله –سبحانه وتعالى–، والتي تقربنا إليه والتي نفزع إليه –عز وجل– بها، فهو الذي "أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ" النمل:٦٢، لازم تعرف أدعية الكرب عشان تدعي ربنا –سبحانه وتعالى– وقت الشدة كلها بالأسماء والصفات، الأنبياء كانوا يدعون ربهم –سبحانه وتعالى– بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ولما وصل بنو إسرائيل مع موسى –عليه السلام– إلى شاطئ البحر ورأوا الفرعون وجنده الكثيف قد أقبل إليهم "قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ" الشعراء٦١:٦٢، طب المعية دي من أين استقاها؟ ما هو باب الأسماء والصفات، إنه عارف إن ربنا هو اللي أمره أن يخرج بهؤلاء الضعفاء، وأنه –عز وجل– كما قدّر وأمره بالخروج إن هو مطلع –عز وجل– على موسى وعلى من معه من هؤلاء الضعفاء، وإن هم هربوا من هذا الفرعون اللعين، فاهتزت ثقة أصحاب موسى لما رأوا الفرعون وقالوا يبقى هي دي النهاية؛ البحر قدامنا اهو إما نغرق في البحر وإما يأتي الفرعون ويقتلنا هو ومن معه، لكن موسى –عليه السلام– لا، قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ.

وأيضًا الصديق لما قال لنبينا –صلى الله عليه وسلم– حينما اختبأ في الغار أثناء رحلة الهجرة، قال أبو بكر: يا رسول الله والله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، قال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ هذه أسماء وصفات، انت حينما تتوب تقول يا تواب تب علي، يا غفور اغفر لي، يا عليم أنت عالم بحالي، يا جواد جُد علي، يا وهاب هب لي من لدنك رحمة، فكل المناجاة بأسمائه –سبحانه وتعالى– لا سيما اسم الرب الذي تُقضى به الحاجات.

ولذلك ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" الأعراف:١٨٠.

نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال وأن يمتعنا وإياكم وكل مسلم ومسلمة بأن تعمر قلوبنا بتوحيده فتنطلق هذه الألسن وتلهج بذكره –سبحانه وتعالى–، وهذه الجوارح تسعى في مرضات المولى –تبارك وتعالى–، وأن ننقي محل نظر الرب منا، ألا وهو القلب، أخطر ما في ابن آدم، "أَلَا وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: –قطعة من اللحم– إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهِيَ القَلْبُ"[٢] والنجاة يوم القيامة لن تكون إلا لأصحاب أوصاف معينة لهذه القلوب، "يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" الشعراء٨٨:٨٩.

نسأل الله أن يسلم قلوبنا بتوحيده وطاعته، وطاعة رسوله –صلى الله عليه وسلم–، وأن يجنبنا وإياكم الشرك وأهله والمشركين والبدع والمحدثات في الدين، وأن يسلمنا وإياكم ويجعلنا وإياكم من الطائعين، اللهم آمين.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا، وإن شاء الله إن قدر الله –عز وجل– لقاءنا القادم، سنبدأ رحلة الإيمان بالملائكة؛ الركن الثاني من أركان الإيمان بالله –تبارك وتعالى–.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[٢] صحيح البخاري

